﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾ [آل عمران: 43]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

ولمّا أخبرها - سبحانه وتعالى - بما اختصَّها به كرّرَ النّداءَ للإيذان بأنَّ المقصودَ بالخطاب ما يُراد بعدَه، وأنّ ما قبلَه من تذكيرِ النِّعَم كان تمهيدًا لذكرِه، وترغيبًا في العملِ بمُوجبِه، كان في هذا منَ النّعمةِ العظيمةِ والمنحةِ الجسيمةِ ما يُوجبُ لها القيامَ بشُكرها، إذْ أمرها بالشُّكرِ فقال: ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي﴾ أي: أَخلصِي أفعالَكِ للعبادةِ ﴿لِرَبِّكِ﴾ الذي عوّدكِ الإحسانَ بأن ربّاكِ هذه التّربيةَ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱقۡنُتِي﴾: جذرُ الكلمةِ هو (قَنَتَ): وقَنَتُوا للّه أي: أطاعُوه، ومنه القُنوتُ، أي: الطّاعةُ، وقانِتونَ، أي: مُطيعون. والقُنُوتُ: الدُّعاء في آخر الوترِ قائمًا، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ [البقرة 238]، وقولُه: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ [الزمر: 9]، وهو الدُّعاءُ قيامًا هاهنا. وقَنَتَتِ المرأةُ لزوجها، أي: أطاعتْهُ[2]. والقُنُوتُ مَصْدَرٌ مِنْ بَابِ قَعَدَ: الدُّعَاءُ، وَيُطْلَقُ عَلَى القِيَامِ فِي الصَّلاة، وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّلاة طُولُ القُنُوتِ»[3]، وَدُعَاءُ القُنُوتِ أَيْ: دُعَاءُ القِيَامِ، وَيُسَمَّى السُّكُوتُ فِي الصَّلاة قُنُوتًا، وَمِنْهُ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ [البقرة: 238][4].

والمعنى هنا: أَخْلِصي الطاعةَ وداومي عليها.

2) ﴿وَٱرۡكَعِي﴾: الجذر اللُّغوي للكلمة (رَكَعَ)، وركَعَ يركَعُ ركوعًا، وكلُّ شيءٍ ينكبُّ لوجهه فتمسُّ ركبتُه الأرضَ أو لا تمسُّها بعد أن يطأطئُ رأسَه فهو راكع. و(الرُّكُوع) الانْحِنَاءُ، قَالَ لَبِيدٌ:

(1) البِقاعِيّ، نظم الدّرَر: 2/79، والمَوصِلّي، أولى ما قيل: 2/470.
(2) الخليل، العَين: (قنت).
(3) رواه مسلم في صحيحه، الحديث رقم: (756).
(4) الفيومي، المصباح المنير: (قنت).

أُخَبِّرُ أَخْبارَ القرونِ التي مَضَتْ*** أَدِبُّ كأنِّي كُلَّما قُمْتُ راكِعُ[1].

أَيْ مُنْحَنٍ، وَمِنْهُ رُكُوعُ الصَّلاة، فكلُّ قومةٍ من الصَّلاة ركعةٌ، وَيُقَالُ: رَكَعَ إِذَا صَلَّى، وَمِنْهُ: ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة: 43]، وَأَمَّا قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾﴾ [ص: 24] فَمَعْنَاهُ سَاجِدًا شُكْرًا، وَرَكْعَةُ الصَّلاةِ مَعْرُوفَةٌ[2].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يا مريم أخلصي العبادةَ وداومي على الطاعة لربِّك، وقومي في خشوع وتَواضع، واسجدي واركعي مع الراكعين، وكُوني مع العابدين والمُصلِّين؛ شكرًا لله على ما أولاكِ من نِعَمِه، فإنَّ ملازمة الطاعاتِ والصلوات من شأنها أن تحفظَ النِّعم وأن تزيدَ الإنسان قربًا وحبًّا من خالقه ﷻ، وخَصَّ السُّجُودَ والرُّكُوعَ لفضلِهما ودَلالتِهما على غايةِ الخضوعِ لله[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

النّداءُ ﴿يَٰمَرْيَمُ﴾ خرج إلى معنًى مَجازيٍّ وهو التّعجّبُ:

إنّ ما يُعطيه اللهُ مِنَ الكراماتِ للصّالحين يَستدعي تعجيبَ الملائكة؛ لأنّها الكائناتُ المراقِبةُ العارفةُ بمنازلِ هؤلاء الصّالحين

وإعادةُ النّداءِ في قول الملائكة: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ﴾؛ لقصدِ الإعجابِ بحالِها؛ لأنّ النّداءَ الأوّلَ كفى في تحصيلِ المقصودِ من إقبالِها لسماعِ كلامِ الملائكةِ، فكان النّداءُ الثاني مستعمَلًا في مجرّد التّنبيهِ الذي ينتقلُ منه إلى لازمِه، وهو التّنويهُ بهذه الحالةِ والإعجابُ بها[4]. ولا خلافَ أنّ المناديَ لها الملائكةُ الذين تقدّم ذكرُهم.

بلاغة التعبير بالقُنوت:

في معنى العبادة ذكرٌ للخاصِّ بعد العامّ

ذكر الحَسَنُ، وقَتَادَةُ أنّ المراد بالقنوت العبادةُ؛ وهذا من قبيل العامِّ، وأنّ ﴿وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى﴾ من قبيل الخاصّ في العبادة. فإنّ قولَه: ﴿ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى﴾؛ هو من قبيل ذكر الخاصِّ بعد العامّ.

(1) الخليل، العَيْن: (ركع).
(2) المُطرِّزيّ، المغرب في ترتيب المُعرب: (ركع).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/244، والسّعديّ، تيسير الكريم الرحمن: 1/130، ونخبة من العلماء، التفسير الميسر، ص: 55.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/244.

في معنى طولِ القيامِ في الصَّلاة طـبـاقٌ، أو تناسبٌ

ذهب مجاهدٌ، وابنُ جريج، والربيعُ إلى أنّ القنوتَ: هو طولُ القيامِ في الصَّلاة، فيكونُ فيها طباقٌ، أو تناسبٌ مع قوله: ﴿وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي﴾. فالطّباقُ لدواعي ذكرِ المُتضادَّيْن، وإن لم يكن طباقًا فهو من قَبيل التّناسُب، فقد ذُكرَ من أركان الصَّلاة القيامُ والرُّكُوعُ والسُّجُودُ.

في معنى الإخلاص والطّاعة علاقة التّدلّي مع ما يأتي بعدَها

قال ابنُ جبير: معنى القنوت: الإخلاصُ والطّاعةُ، فإذا كان القنوتُ بمعنى الإخلاص، وهي أعلى رتبةٍ في الإيمان والعبادةِ، فتكونُ علاقتُها التّدلّي مع ما يأتي بعدَها من قولِه: ﴿وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي﴾. وهذه المعاني الأربعة ذكرها ابنُ الجَوزي في تفسيره[1].

بيان الكناية في ﴿ٱقۡنُتِي﴾:

وجه الكناية الدلالة على إخلاص الطاعة وإدامتِها

المرادُ بالقُنوت: إدامةُ الطاعة، وإخلاصُها لله تعالى كقولِه: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا﴾.. وفي قولِه: لربك، إشارةٌ إلى تفرّدِه بالعبادة وتخصُّصِه بها، وهذا يفيدُ الانتقالَ إلى معنى طولِ القيامِ في الصَّلاة، والجمهورُ على ما قاله مجاهدٌ، وهو المناسبُ في المعنى لقوله: ﴿وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي﴾.

سرّ تقديم لفظ السجود:

السُّجُودُ هو الهيئة التي أقربُ ما يكونُ فيها العبدُ إلى الله

أمَرَتِ الملائكةُ مريمَ في قوله: ﴿وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾؛ فِعلَ ثلاثةِ أشياءَ من هيئاتِ الصَّلاة، فإن أريد ظاهرُ الهيئاتِ، فهي معطوفةٌ بالواو، والواوُ لا ترتِّب[2]. وقيل قُدِّمَ السُّجُودُ؛ لأنّ السُّجُودَ لمّا كان الهيئةَ التي هي أقربُ ما يكونُ فيها العبدُ إلى الله قُدِّم، وإن كان متأخِّرًا في الفعل على الرُّكُوع، فيكونُ إذ ذاك التّقديمُ بالشّرف.

قولُه: ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ أُمرَتْ بالصَّلاةِ في الجماعة بذكر أركانِها مبالغةً في المُحافظةِ عليها،

(1) ابنُ الجوزيّ، زاد المسير: 1/282.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/147.

وقُدّمَ السُّجُودُ على الرُّكُوع؛ إمّا لكونِه كذلك في شريعتِهم، أو للتّنبيه على أنّ الواو لا تُوجبُ التّرتيبَ، أو ليقترنَ اركعي بالراكعين للإيذان بأنّ من ليس في صلاتهم ركوعٌ ليسوا مُصلّين[1]. والقُنوتُ: إدامةُ الطّاعة صلاةً كانت أو غيرَها منَ العبادات، ولهذا قال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا﴾، فجُعِلَ من جُملةِ القُنوتِ، وهاهنا قدّمَ السُّجُودَ أيضًا على القِيام[2].

قُـدّمَ السُّجُـودُ على الرُّكُوع؛ إمّا لكونِه كذلك في شريعتِهم، أو للتّنبيه على أنّ الواو لا تُوجبُ التّرتيبَ

ذكرَ الزَّمَخشريُّ توجيهًا آخرَ في تأخير الرُّكُوع عنِ السُّجُودِ، فقال: ويحتملُ أن يكونَ في زمانِها من كان يقومُ، ويسجدُ في صلاته ولا يركعُ، وفيه من يركعُ، فأُمرتْ بأن تركعَ مع الراكعين، ولا تكونَ مع من لا يركعُ[3]. فكأنّه قيل: لا تقتصِري على القيامِ والسُّجُودِ، بل أضيفي إلى ذلك الرُّكُوعَ.

يحتمل أن يكون الأمـر بـأن تركعَ مع الراكعين في زمانها

براعة الطّباق بين القنوتِ والسُّجُودِ:

قال ابنُ عطية: أُمرتْ مريمُ بفعلين ومَعْلَمَيْن من معالمِ الصَّلاة، وهما: طولُ القيامِ والسُّجُود، وبينهما طباقٌ؛ لجمع النّقيضَيْن من هيئاتِ الصَّلاةِ: طولُ القيامِ، ووضعُ الجبين على الأرض تعظيمًا للخالق. وخُصّا بالذّكر لشرفِهما في أركان الصَّلاةِ. وهذان يختصّان بصلاتِها منفردةً، وإلّا فمن يُصلّي وراء إمامٍ لا يُقال له: أطِلْ قيامك.

وجـه الـطّـبـاق الـجـمـعُ بين طـولِ الـقـيـامِ والـسُّـجُـودِ، وهما نقيضَان مـن هـيـئـاتِ الصَّلاةِ

ثم أُمِرَتْ بعدُ بالصَّلاة في الجماعة، فقيل لها: واركعي مع الرّاكِعين، وقُصدَ هنا معْلَمٌ آخر من معالمِ الصَّلاة لئلّا يتكرّرَ لفظٌ. ونوّع في ذكر أركان الصَّلاةِ.

(1) البَيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/16.
(2) الراغب، تفسير الرّاغب: 2/556.
(3) الزّمخشري، الكشّاف: 1/389.

دَلالةُ ﴿مَعَ﴾ في قوله: ﴿مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾:

الـرُّكُـوعُ مـعَ الرّاكعين اجتمع فـيـه خـاصّـة النّاس لخاصّة العمل

في قولِه: ﴿مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾، تقتضي ﴿مَعَ﴾: الصُّحبةَ والاجتماعَ في إيقاع الرُّكُوعِ مع مَن يركعُ، فتكونُ مأمورةً بالصَّلاة في جماعةٍ، ويحتملُ أن يتجوّزَ في: ﴿مَعَ﴾، فتكونَ للموافقةِ للفعل فقط دون اجتماعٍ، أي: افعلي كفعلِهم، وإن لم تُوقعي الصَّلاةَ معهم، فإنها كانت تُصلّي في محرابِها[1].

دَلالةُ أفعالِ الأمرِ ﴿ٱقۡنُتِي﴾، و﴿وَٱسۡجُدِي﴾، و﴿وَٱرۡكَعِي﴾:

التّعبير بالأمر؛ لبلوغِ شُكر الله تـعـالى عـلـى ما أولاها منَ الخير

هذه الأفعالُ دَلالتُها على حقيقتِها، فهي أوامرُ واجبةٌ على مريمَ، لبلوغِ شُكر اللّه تعالى على ما أولاها منَ الخير والفضلِ والحفاوةِ والاصطفاءِ، ثمّ إنّها يمكنُ أن تخرجَ إلى معنًى مَجازيٍّ لعُمومِ المؤمنين تَوجيهًا وإرشادًا، وإفصاحًا عن جانبٍ من سُبل الاصطفاءِ.

سرّ الجمع بصيغة ﴿ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ دون (الرّاكعاتِ):

في صيغة جمع المـذكّـر عـمـومٌ يشمل الـرّجـالَ والـنّـسـاءَ على سبيل التّغليبِ

وجاء التعبير بـ ﴿ٱلرَّٰكِعِينَ﴾، دونَ الراكعاتِ، مع أنّ الآيةَ السّابقةَ ذكرتِ الاصطفاءَ على نساء العالَمين؛ لأنّ هذا الجَمعَ أعمُّ؛ إذْ يشملُ الرّجالَ والنّساءَ على سبيل التّغليبِ، ولمناسبةِ أواخرِ الآياتِ قبلُ وبعدُ، ولأنّ الاقتدَاءَ بالرّجال أفضلُ، إنْ قلنا إنّها مأمورةٌ بصلاة الجماعةِ[2]. فقد شملَ التّعبيرُ المجتمعَ المؤمنَ كلَّه. وبقولِه: ﴿مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ إذنٌ لهَا بالصَّلاة مع الجَماعَة، وهذه خُصوصيّةٌ لها من بين نساءِ بني إسرائيلَ إظهارًا لمعنى ارتفاعِها عن بقية النّساءِ، واصطفائِها عليهم، ولذلك جيءَ في ﴿ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ بعلامةِ جمعِ التّذكيرِ[3]، ويُؤيّده أنها وُهبتْ لخدمةِ بيتِ العبادةِ، وكان ذلك ممنوعًا على النّساء في زمانِهم، لذا حزنتْ أمُّها لمّا وضعتْها أنثى.

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/149.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/149.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/244.

بيانُ المَجاز في معاني القُنوتِ والسُّجُودِ والرُّكُوعِ:

إطـلاقُ الـجُـزءِ وإرادةُ الكُـــلِّ إيـهـامٌ لكماله فيه

قولُه: ﴿وَٱسۡجُدِي﴾ أراد بها الصَّلاةَ كلَّها، كقولِه تعالى: ﴿وَأَدۡبَرَ ٱلسُّجُودِ ۝٤٠﴾ [ق: 40]، وأراد بالرُّكُوع الخشوعَ والإخباتَ[1]، فذَكَرَ السُّجُودَ وأراد الصَّلاةَ على سبيل المَجاز المُرسَلِ، وعلاقتُه الجُزئيّةُ، إذ ذكر الجُزءَ وأراد الكُلَّ، ثم قيل لها: ﴿وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾؛ أي ذكرَ القُنوتَ والسُّجُودَ أولًا، والقنوتُ: أن يذكرَ اللّه قائمًا، أو يركدَ في الصَّلاة، وأريد بهما الصَّلاةُ، فإنهم يُطلقون معظمَ الشّيء على الكلّ إيهامًا لكماله فيه، ثم أتى ببعضٍ آخرَ وهو الرُّكُوعُ، وأريد به تلك الحقيقةُ أيضًا على تلك الطريقة، وقيّدَه بفائدةٍ زائدةٍ ليُؤذنَ أنّ كماله إذا كان مُقيّدًا بها فهو منَ التّكرارِ المعنويّ لإناطةِ معنى زائدٍ، ولمّا كان الأمرُ للصّلاة أمرًا للمصلّي بصفتها، وهي أن يكون مع الجماعة لا نفسِها، قال: ولتكن صلاتك مع المُصلّين[2].

جناسُ الاشتقاقِ في قوله: ﴿وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾:

فـائدة الجناس الانـــدمـــاجُ مـع المـصـلّـين الـرّاكـعـين مـنَ المؤمنين

يُفيدُ جناسُ الاشتقاقِ هنا الاندماجَ مع المصلّين الرّاكعين منَ المؤمنين، وهذا ما نوّه إليه الزَّمَخشريّ في قولِه: " أو انظمي نفسَك في جملة المصلّين" وشرحَه الطّيبي بقولِه: " معناه: اتّصفي بصفةِ المُصلّين وكوني من زُمرتِهم وعِدادِهم، كقولِه تعالى: ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩﴾ [الفجر: 29]؛ أي: في جملة عبادي الصّالحين، وانْتظمِي في سِلْكِهم، وأمّا معنى الاختصاصِ في قولِه[3]: "ولا تكوني في عِداد غيرِهم"، فإنّ ما يُفيدُه معنى الكنايةِ، لأنّ الأسلوبَ من قَبيل قولِه: فلانٌ في عِداد العلماءِ، أي: له مساهمةٌ معهم في العلم، وأنَّ الوَصفَ كاللّقَب المشهودِ لَهُ، وللإيذان بأنَّ من ليس في صلاتِهِ ركوعٌ ليس منَ المُصلّين"[4].

(1) البَيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/16.
(2) الطيبي، فتوح الغيب: 4/105.
(3) أي: في قول الزمخشري.
(4) الطيبي، فتوح الغيب: 4/105.

بَلاغةُ اللَّفِ والنَّشر:

فـائـدة الـلّـفّ والنّشر التّنبيهُ على انخراطها فـي سـلـك ما مـضى مـن أمـرِ آدم ويحيـى إفـصـاحًـا، وإبـراهـيـم في ابنيه إلاحـةً في خـرق الـعـادة فيهم

في قولِه: ﴿وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ فقولُه: اسجدي، واركعي لفٌّ، وقولِه: ﴿مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ نَشْرٌ بتقدير: مع الرّاكعين والسّاجدين، فحُذفتْ لعدم التّكرارِ ولتضمينِها بالرُّكُوع، والظّاهرُ أنّ المرادَ بالسُّجُود في هذا المقام ظاهرُه، وبالرُّكُوع الصَّلاةُ نفسُها، فكأنه قيل: واسجُدي مُصلّيةً، ولتكن صلاتُك مع المصلّين، أي: في جماعة، ولعلَّ من فوائدِ اللّفّ والنّشر هنا؛ المرادُ بإتباع قصّتِها لما مضى: التّنبيهُ على انخراطها في سلك ما مضى من أمرِ آدم ويحيى إفصاحًا، وإبراهيم في ابنيه إلاحةً في خرق العادة فيهم، على اعتبارِ أن تكونَ مع من سبقَها منَ الذين اصطفاهم اللّه، وتكون المعيّةُ مجازيّةً. وأنّ الصَّلاةَ عندهم تُطلَقُ على الدُّعاء وعلى فعل هو مجرّدُ السُّجُود، فإنْ ذُكر معه ما يدلُّ على وضع الوجهِ على الأرض فذاك حينئذٍ يُسمّى صلاةً، وإلاّ كان المرادُ به مطلقَ الانحناءِ للتّعظيم، وذلك موافقٌ للّغة، فالرُّكُوع في اللُّغة يُطلقُ على معانٍ منها الصَّلاةُ[1].

التّدلّي في الأوامرِ (القُنوت والسُّجُود والرُّكُوع):

في فـنّ الـتـدلّي تيسيرٌ للعبادة بـذكـرهـا من أعلاها إلى أدناها

بعد أن رُسِمَ في الآيةِ السّابقةِ مُنحنى التّرقّي بقولِه تعالى: ﴿ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ﴾ في وصفِ شخصيّةِ مريمَ ترقيةً لها وإكرامًا وتعظيمًا لشأنها. نجدُ فنَّ التّدلّي في أمر العبادة تيسيرًا، فذكرَ الأوامرَ (اقنُتي، اسجُدي، اركعي) لمريمَ بالعبادةِ من أعلاها إلى أدناها؛ فقال: ﴿ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ ولمّا قدّمَ الإخلاصَ الذي هو روحُ العبادة أتْبَعه أشرفَها فقال: ﴿وَٱسۡجُدِي﴾ فإنّ أقربَ ما يكونُ العبدُ من ربّه وهو ساجدٌ[2]. ودليلُ التّدلّي أنّه ختمَ الدّرجاتِ بقوله: ﴿مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ فانتقل منَ

(1) البِقاعِيّ، نظم الدّرَر: 2/82.
(2) البِقاعِيّ، نظم الدّرَر: 2/79.

الأعلى الذي هو القُنوت للّه أي الإخلاصُ له - سبحانه - الذي لا يصحُّ طبعًا إلّا للخاصّة، إلى الأدنى منه؛ وهو مداومةُ السُّجُود، فانتقل من أخصِّ الأعمالِ إلى السُّجُودِ، الذي يُطيقُه جمعٌ منَ المؤمنين، ثم تدلّى إلى ما يفعلُه العامّةُ منَ المؤمنين، فقال: ﴿وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾.

قال الحَرَالِّي: وكان منَ اختصاص هذا الاصطفاءِ العليّ - أي الثاني - ما اختصّها منَ الخطاب بالرُّكُوع الذي لحقتْ به بهذه الأمّةِ الراكعة - يعني أمّة محمد ﷺ - التي أطْلَعَها اللّه سبحانه وتعالى من سرّ عظمتِه على ما لم يُطلعْ عليه أحدًا ممَّن سواها في قولِه: ﴿وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾؛ كما قال لبني إسرائيل عندَ الأمرِ بالملّةِ المحمديّة: ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾ [البقرة: 43] إلى ما يقعُ من كمالِ ما بُشِّرتْ به حيث يكلّمُ النّاسَ كهلًا في خاتمة اليوم المُحمّدي، ويكملُ له الوجودُ الإنساني[1]، وقُدّم السُّجُودُ؛ لأنه أَدْخَلُ في الشُّكرِ، والمقامُ هنا مقامُ شُكر[2].

وفي هذا التّعبيرِ إشارةٌ إلى أنّ للخواصّ من النّاس وظائفَ تعبُّديّةً تبدأ بأنفسِهم وتزكيتِها وتنقيتِها وتنتهي بالتَّواصل الاجتماعي والاندماجِ التّعبّدِيّ بالمجتمع، وهو على خلافِ الرَّهبانيّةِ التي تدلّ على اعتزالِ المُجتمع. فخرجتِ الأوامرُ هنا ﴿ٱقۡنُتِي﴾، ﴿وَٱسۡجُدِي﴾، ﴿وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ إلى رسم حياةٍ تعبّديّةٍ متكاملةٍ، تبدأ بالنّفس وخواصِّها وتنتهي بالامتزاجِ التّعبُّديّ مع المؤمنين.

مناسبةُ الخطابِ لما بعدَه:

قصدُ التأنيسِ مهَّد له بما يجلبُ إليها مسرَّةً، ويُوقنُها بأنها بمحلّ عنايةِ الله

وهذا الخطابُ مقدّمةٌ للخطاب الذي بعده وهو قولُه: ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ﴾لقصدِ تأنيسِها بالخبر المُوالي لأنّه لما كان حاصلُه يجلبُ لها حزنًا وسوءَ قَالَةٍ بين النّاس، مهَّد له بما يجلبُ إليها مسرَّةً، ويُوقنُها بأنها بمحلّ عنايةِ اللّه، فلا جرمَ أن تعلمَ بأنّ اللّه جاعلٌ لها مخرجًا وأنه لا يُخزيها أبدًا[3].

(1) البِقاعِيّ، نظم الدّرَر: 2/79.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/244.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/244.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»